**أسباب الاختلاف في تفسير السلف**

**وجود الاختلاف من طبائع البشر التي لا تنفك عنهم، وهو من قدر الله فيهم.**

**ففي ألسنتهم اختلاف، وفي ألوانهم، وفي عقائدهم، وفي أفكارهم ... إلخ، والمقصود أن وقوع الاختلاف بين علماء الأمة ليس ذمّاً عليهم، إذ لا أحد من المجتمعات يسلم منه.**

**وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلاف أسباب أوجبته، وعلل أوجدته، والأمر في الاختلاف في النص إذا كان معلوماً للمجتهدين يرجع إلى أحد شيئين:**

**الأول: اختلاف فهوم المجتهدين من العلماء.**

**الثاني: أن يكون النص محتملاً لأكثر من معنى.**

**إذاً فالخلاف منه ما يرجع إلى المجتهد، ومنه ما يرجع إلى النص.**

**والمؤلفات في أسباب الاختلاف في التفسير نادرة، وقد سرد بعض هذه الأسباب ابن جزي في مقدمة تفسيره، وقد أُلف في أسباب الاختلاف رسالة علمية بعنوان: «اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره» ([[1]](#footnote-1))**

**ومن أسباب الاختلاف بين مفسري السلف :**

**1 - الاشتراك.**

**2 - الاختلاف في مفسر الضمير.**

**3 - أن يكون في الجملة حذف، ويحتمل في تقديره أكثر من معنى.**

**4 - أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة.**

**5 - تنوع الاستعمال العربي للفظة.**

**6 - أن يدور حكم الآية بين الأحكام والنسخ.**

**7 - أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص.**

**8 - أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف، ولا يحدد موصوفه في الآية.**

**9 - أن يكون في الآية حرف له قراءتان لكل منهما تفسير مختلف.**

**1 - الاشتراك: وهو اللفظ الدال على أكثر من معنى في لغة العرب.**

**والمشترك قد يكون من أحرف التضاد، وقد لا يكون. وإذا كان من أحرف التضاد فقد يجوز حمل الآية على المعنيين المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية، ويكون هذا إذا اختلف المحل. وقد يمتنع حمل الآية عليهما معاً: ويلزم من القول بأحدهما نفي الآخر.**

**وإليك الأمثلة:**

**أـ من المشترك المتضاد الذي يجوز حمل الآية على معنييه المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية لفظ {عَسْعَسَ} في قوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: 17]، فقد فسر لفظ (عسعس) بأنه أقبل، وفسر بأنه أدبر، وبالأول قال ابن عباس، وقتادة، وابن جبير؛ وبالثاني قال ابن عباس، وابن زيد .**

**ومثل هذا يجوز حمل الآية على هذين المعنيين المتضادين، فيكون لفظ {عَسْعَسَ} دالاًّ على أن الإقسام مراد به أول الليل وآخره، فدل على هذين المعنيين بلفظة واحدة، ولو جاء بهما بلفظيهما لكان: (والليل إذا أقبل وأدبر).**

**ب ـ ومن المشترك المتضاد الذي يمتنع حمل الآية على معنييه، بل يلزم من القول بأحدهما نفي الآخر لفظة (قرء) في قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]، فقد ورد في لغة العرب بمعنى: الطهر، وبمعنى: الحيض.**

**روي المعنى الأول عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة والزهري.**

**وروي المعنى الثاني عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، وسفيان الثوري، والسدي .**

**وفي هذا المثال يمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر، فالمطلوب من المرأة أن تتربص؛ إما ثلاثة أطهار، وإمَّا ثلاث حيض.**

**جـ ومن المشترك الذي ليس من أحرف التضاد ـ وهو كثير ـ لفظ (العتيق) من قوله تعالى: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: 29]، فقيل: العتيق بمعنى: القديم، وهو قول الحسن، وابن زيد. وقيل: العتيق المعتق من الجبابرة، بمعنى: أنه محرر لا يملكه أحد، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن الزبير ، وهذا مما يجوز حمل الآية على معنييه.**

**والاشتراك قد يكون في الأسماء؛ كقسورة: للأسد والرامي. والصريم: للنهار والليل. وقد يكون في الأفعال؛ كظن: للشك واليقين.**

**2 - الاختلاف في مفسر الضمير، وهو أنواع:**

**الأول: أن يكون في الآية ضمير يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور.**

**ومثاله قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ} [الانشقاق: 6].قيل: تلاقي ربك.وقيل: تلاقي عملك .**

**وكلاهما صحيح محتمل؛ لأن الإنسان سيلاقي ربه، وعمله.**

**ومثله قوله تعالى: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات: 7] ففي مرجع هاء الكناية قولان:**

**القول الأول: أن مرجعها إلى الله، وبه قال ابن عباس، وابن جريج.**

**القول الثاني: أن مرجعها إلى الإنسان الكنود، روي هذا عن ابن عباس. [65]**

**الثاني: أن يكون في الآية ضميران، وكل واحد منهما يرجع إلى مرجع لا يرجع إليه الآخر، فيكون للآية أكثر من معنى، فينص كل واحد من المفسرين على أحد هذه المعاني.**

**مثاله: قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: 10].ففي قوله: «يرفعه» ضميران، وكل واحد منهما يرجع إلى مرجع لا يرجع إليه الآخر:**

**الأول: الضمير الظاهر، وهو الهاء، وهو في محل نصب مفعول به، ويعود على الكلم الطيب، ويكون المعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب.**

**الثاني: الضمير المستتر، وهو في محل رفع فاعل، يعود على الله سبحانه، ويكون المعنى: والعمل الصالح يرفعه الله، وبه قال قتادة، والسدي.**

**ويحتمل عوده كذلك إلى الكلم الطيب، ويكون المعنى: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، وبهذا يكون معاكساً للقول الأول، وبه قال الحسن، ويحيى بن سلام .**

**3 - أن يكون في الجملة حذف:**

**ويحتمل في تقديره أكثر من معنى، فيذكر كل واحد أحد المعاني المحتملة.**

**ومثاله: قوله تعالى: {وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ} [النساء: 127].**

**ففي متعلق «ترغبون» تقديران:**

**الأول: ترغبون في نكاحهن، وهذا قول عائشة وعبيدة. [66]**

**الثاني: ترغبون عن نكاحهن، وهذا قول الحسن .**

**ففي الأول: صارت الرغبة في زواجهن، وفي الثاني: صِرْنَ غير مرغوب فيهن.**

**ومثله: قوله تعالى: {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية: 23] قيل في مرجع علم قولان:**

**الأول: على علم من العبد بضلاله، وهذا قول مقاتل.**

**الثاني: على علم من الله بضلاله، وهذا قول ابن عباس.**

**4 - أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة:**

**ويحمل كل واحد من المفسرين الآية على أحد التصريفات.**

**ومثاله: لفظة {يُضَآرَّ} في قوله تعالى: {وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ} [البقرة: 282].**

**فتصريف لفظة {يُضَآرَّ} تحتمل أن تكون (يُضارَر)، وتحتمل أن تكون (يضارِر) فعلى الاحتمال الأول يكون النهي واقعاً على أن يُضر بالكاتب أو الشهيد؛ أي: أن الضرر يقع على الكاتب والشهيد، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، والربيع.**

**وعلى الاحتمال الثاني: يكون النهي واقعاً على أن يَضرَّ الكاتب والشهيد؛ أي: أن الضرر يقع من الكاتب والشهيد، وهذا قول طاوس، والحسن، وقتادة .**

**ومثله: قوله تعالى: {لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} [البقرة: 233].**

**5 - تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة:**

**فيحمل بعضهم اللفظة على المعنى القريب الظاهر، ويحمله آخرون على المعنى البعيد، وهذا النوع قريب من المشترك.**

**ومثاله: قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: 4].**

**من المفسرين من فسر الثياب بالمعروف المتبادر، وروي هذا عن ابن عباس، وطاوس، وابن سيرين، وابن زيد.**

**ومنهم من فسر الثياب بالنفس، وهذا المعنى بعيد غير متبادر، وهو مروي عن مجاهد وقتادة.**

**مثال آخر: في قوله تعالى: {وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} [هود: 91] في قصة شعيب، قيل في المراد بالرجم قولان:**

**لأول: لرجمناك بالحجارة.**

**الثاني: لرجمناك بالسب، والشتم.**

**والأول هو المعنى القريب المتبادر للذهن، قال ابن عطية: وهو الظاهر .**

**والثاني، وإن كان محتملاً إلا أنه أبعد من الأول.**

**6 - أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ:**

**فيحكم بعضهم بالنسخ، ويحكم الآخر بالإحكام.**

**ومثاله: قوله تعالى: {وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} [البقرة: 221].**

**قيل: هي منسوخة بقوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [المائدة: 5].وهذا مروي عن الحسن، وعكرمة، والزهري.**

**وقيل: هي محكمة لا نسخ فيها.**

**ومثله: قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [البقرة: 219].**

**قيل: هي منسوخة بآية الزكاة، وهذا مروي عن السدي؛ لأنه يرى أنه فرض نزل قبل الزكاة، فنسخ بالزكاة.**

**وقيل: هي محكمة، وهي في الصدقة العامة المندوب إليها، وهذا مروي عن ابن عباس، ومقاتل بن حيان .**

**7 - أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص:**

**ومثاله: قوله تعالى: {وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} [البقرة: 221].**

**قيل: هذه الآية حكمها عام، ثم خصَّصها قوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [المائدة: 5]، هذا مروي عن عثمان، وحذيفة، وجابر، وابن عباس، وقتادة، وابن جبير.**

**وقيل: إنها ليست مخصَّصة، بل المشركات هنَّ عابدات الأوثان من العرب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب، وهذا مروي عن قتادة، وسعيد بن جبير (2).**

**8 - أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف:**

**ولا يحدد موصوفه في الآية، فيحمل كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات.وهذا النوع قريب من الذي قبله، بل هو باب منه ، ومن أمثلته:**

**قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا \*وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات: 1، 2].**

**قيل في هذه الأوصاف: هي للملائكة، وقيل: للأنجم، وقيل: للموت ... إلخ.**

**ومثله: {وَالذَّارِيَاتِ} [الذاريات: 1]، ومثله: {... بِالْخُنَّسِ} [التكوير: 15].**

**9 - أن يكون في الآية حرف له قراءتان :**

**فيفسر أحدهم إحدى القراءتين؛ ويفسر الآخر الأخرى، فيختلف التأويل.**

**ومثاله: قوله تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: 24]، ففي قوله تعالى: (ضَنِينٍ) قراءتان:**

**الأولى: بالضاد، ويكون المعنى: «ما هو ببخيل».**

**الثانية: بالظاء، ويكون المعنى: «وما هم بمتهم».**

**هذه بعض أسباب الاختلاف التي ذكرها د.مساعد الطيار**  في كتابه فصول في اصول التفسير ([[2]](#footnote-2)).

1. () **ويمكن الاستفادة في هذا الموضوع ممّا كتب في أسباب اختلاف العلماء من حيث العموم، ومن أهمها رسالة ابن السيد البطليوسي، التي سمَّاها: «الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم».** [↑](#footnote-ref-1)
2. () ظهر أخيراً كتاب «أسباب اختلاف المفسرين» للدكتور محمد الشايع [↑](#footnote-ref-2)